هوامش

من مظاهر تمثل الصينيين بالغرب اقتناء الحيوانات الأليفة بنسبة عالية لدى الشباب والنساء، وبينهم عدد كبير من الباحثين عن تأنيس وحدتهم في المدن

سيلفي مميزة مع كلبة (هكتور ريتامال/ فرانس برس)

الحيوانات الأليفة

مؤنسة الجيل الجديد من الصينيين

بكين ـ **علي أبو مريحيل**

حتى وقت قريب، كان الصينيون يأكلون كل ما يسير على الأرض من أنعام ودواب، وعرفوا أيضاً بأكل الحيوانات البرية والقطط وطهي الكلاب، لذا حمّلتهم بعض المجتمعات أخيراً مسؤولية انتشار وباء كورونا في العالم، وانتقاله إلى الإنسان من خلال تناول مأكولات غريبة، وهو ما رفضه الصينيون، مبدين انزعاجهم من هذه المآخذ عليهم، والتي يصرّون على أنها لا تستند إلى وقائع حاسمة ومثبتة. والحقيقة أن هذه العادات تراجعت مع مرور الوقت أمام الغزو الغربي وتأثر الجيل الجديد بالثقافات الأجنبية. وأبرز ما تسلل إلى المجتمع الصيني ظاهرة تربية الحيوانات الأليفة، ما حوّل الكلاب من وليمة على موائد الطعام إلى إحدى أكثر الكائنات دلالاً، إذ لا يكاد يخلو بيت من كلب أو قطة، حتى إن أصحابها ينفقون مبالغ ضخمة تصل إلى نحو 70 مليار دولار سنوياً على تربية الكلاب فقط.

وتشير تقديرات غير رسمية إلى أن الصين تضم 172 مليون كلب أليف. وتظهر بيانات أصدرتها الجمعية الصينية للرفق بالحيوان أن حوالى 73,55 مليون شخص في المناطق الحضرية يملكون حيوانات أليفة، ما يعني أن نحو 9 في المائة من إجمالي 814 مليوناً من سكان المدن لديهم حيوانات أليفة. وتكشف البيانات أيضاً أن أكثر من 85 في المائة من أصحاب الكلاب والقطط هم من النساء، ونصفهم حاصل على درجة بكالوريوس، وأن غالبية أصحاب الحيوانات الأليفة تنتمي إلى الأجيال الجديدة التي ولدت بعد عام 1990.

احتياج عاطفي

تقول تانغ مي البالغة 25 من العمر والتي تربي كلباً عمره ثلاث سنوات اقتنته بعدما تخرّجت من الجامعة لـ «العربي الجديد»: «اضطررت بعد تخرجي للعمل في مدينة أخرى بعيداً عن أهلي فشعرت بالوحدة وقررت اقتناء كلب على غرار زميلاتي في الجامعة، كي أقضي معه أوقاتاً طويلة. ثم تعلقت به حتى بت لا أستطيع الاستغناء عنه». تضيف: «في السابق كان الناس يربون الكلاب من أجل الغذاء أو لأغراض تتعلق بالحراسة والصيد. أما اليوم فهي صديقة وفيّة للإنسان، وتعوّض أحياناً الفترات الطويلة التي نقضيها بعيداً عن الأهل والأصدقاء». وعن تكاليف رعاية كلبها توضح تانغ أن «الغذاء والكشوف الطبية الدورية يشكلان أساس النفقات المادية التي لا تقل عن 800 يوان صيني (125 دولاراً). أما تكاليف الكماليات فتعتبر أعلى وأكثر تطرفاً، مثل استئجار مؤنس للكلب إذا انشغل صاحبه، إذ إن ثمن الساعة الواحدة 150 يوان (23,5 دولاراً). وفي حال الموت هناك تكاليف تتعلق بمراسم الدفن، علماً أن بعض أصحاب الكلاب الأثرياء قد يدفعون 10 آلاف دولار لشراء قبر للكلب».

من البرجوازية إلى القيم

تاريخياً، وتحديداً في عهد الزعيم الراحل ماو تسي تونغ، كان الرفق بالحيوان في الصين أحد مظاهر البرجوازية، ونظر الحزب الشيوعي إلى الأشخاص الذين يربّون الكلاب والقطط على أنهم متأثرون بمجتمعات الدول الإمبريالية. من هنا نشأت أجيال غير مبالية بالحيوانات، علماً أن دراسة استقصائية أجريت عام 2011 كشفت أن 85 في المائة من الأجيال الصينية القديمة لم تسمع بمفهوم «الرفق بالحيوان»، بينما رأى 32 في المائة من المستفتين أن الحيوانات ليست حساسة مثل البشر، ولا تشعر بألم وعاطفة، وتشارك الإنسان في احتياجات الطعام والماء فقط. ودأب الصينيون سابقاً على رفض انتقادات دولية وجهت لتنظيمهم مهرجانات تشهد قتل كلاب وتناول لحومها، وبينها مهرجان في مدينة يولين. أما اليوم، فتغيّرت الصورة، وأصبحت الصين إحدى أكبر دول العالم في تربية الحيوانات الأليفة. وفي عام 2006، أصدرت بكين مبادئ توجيهية في شأن معاملة الحيوانات، والتي ذكرت للمرة الأولى في تاريخ البلاد ولوائحها الرسمية عبارة «رعاية الحيوان». وبعد عامين، تجمّع أكثر من 40 ناشطاً في بكين للاحتجاج على طهي القطط الحيّة في مقاطعة غوانغدونغ الجنوبية. وفي عام 2020، بعد كشف انتشار فيروس كورونا في مدينة ووهان، حظرت السلطات للمرة الأولى نقل وبيع الحيوانات البرية، وأغلقت كل الأسواق التي تتاجر بها. وذكرت في بيان أن «القانون الجديد لا يستند فقط إلى مخاوف تتعلق بالصحة العامة، بل يراعي أيضاً القيم الأخلاقية». تعلّق الناشطة الحقوقية شياو لين على هذا التحوّل في الآراء والتصرفات بالقول لـ«العربي الجديد»: «لم يتأثر جيل الشباب بالأيديولوجيا التي كانت سائدة في حقبة ماو تسي تونغ، كما جلب انفتاح الصين وتعاونها الدولي مع جمعيات حقوقية مفاهيم رعاية الحيوانات من الخارج، وتنامت حركة حماية الحيوانات في الداخل، خصوصاً بين الأجيال الشابة». وتتابع أن «إنشاء الجمعية الصينية لحماية الحيوانات عام 1992 شكّل خطوة أولى أسست لكل ما جاء بعدها. وقد انتشرت ظاهرة تربية الحيوانات الأليفة في الصين بسرعة خلال فترة زمنية قياسية إلى درجة يصعب فيها تحديد حجمها الفعلي في أنحاء البلاد».

باختصار

حوّلت الثقافة الغربية الكلاب من وليمة على موائد الطعام في الصين إلى إحدى أكثر الكائنات دلالاً

■■■

لا يكاد يخلو بيت من كلب أو قطة، حتى إن أصحابها ينفقون نحو 70 مليار دولار سنوياً على تربية الكلاب فقط

■■■

حوالى 73,55 مليون شخص في المناطق الحضرية يملكون حيوانات أليفة، أي نحو 9 في المائة من إجمالي 814 مليوناً من سكان المدن

وأخيراً

عالم الميتافيرس والفستان الأحمر

رشا عمران

سوف أستيقظ صباحا، أمارس طقوسي الصباحية؛ تمارين اللياقة، ثم فنجان القهوة، ثم المتّة، ثم حمام ماء ساخن، ولن أنسى أن أرطب جسدي بكريمات ذات رائحة جميلة، ثم أرتدي ثيابي وأضع كحل عيني، المكياج الوحيد الذي أحبه، بعد أن أقوم ببعض حركات المساج لوجهي، كي لا يفقد نضارته، ثم أرتدي حذائي، وأجهز «شنطة» الكتف المناسبة للحذاء، ثم أفتح هاتفي الذكي وأطلب سيارة، ذلك أنني أريد الذهاب إلى «المول»، لأتسوق حاجيات غير ضرورية، ثم أجلس إلى الطاولة التي أضع عليها شاشة كومبيوتر كبيرة، وأتناول نظارتي ثلاثية أو رباعية الأبعاد، وأبدأ مشواري المرجو. سوف أفتح الباب الخلفي للسيارة، وأجلس في الجهة اليمنى. السائق سيعرف إلى أين سأذهب من دون أن أخبره، ذلك أنني حدّدت له الموقع منذ البداية. في نهاية الرحلة، لن أدفع له، لأنني كنت قد دفعت مسبقا ببطاقتي البنكية. سأصل إلى نهاية الرحلة وأنزل، أدخل من باب «المول» الكبير، من دون حاجة لوضع قناعي الطبي، وسأتمشى في ممرّات المول أتأمل المعروضات. سيعجبني فستان أحمر، أحبّ الفساتين الحمراء إلى درجة الشغف، ولا أعرف هل هذا مرتبط بقصة «ذات الرداء الأحمر» التي كنت حين أقرأها في صغري أتخيلني أنني أنا من تمشي في الغابة، متغاويةً بردائي الأحمر، لكنني لن أستسلم للذئب سوف أغويه وأظهر له الخوف الموارب. أخبره أنني سأدعوه إلى بيت جدتي ليأكل معنا، ثم حين أصل أدخل بسرعة وأغلق الباب خلفي، وأتركه ينتظر حتى يشعر بالملل فيذهب خالي الوفاض، إذ أصل الحكاية هو التدريب على الطاعة والخوف من الآخرين. وأنا لم أكن يوما مطيعة، ولم يصبني الرعب من الآخرين، سيما مما أريد له أن يكون في القصة معادلا للذئب، أي الرجل، حوّل خيالي حكاية ذات الرداء الأحمر إلى فعل غوايةٍ أنثوية. ربما لهذا تعجبني الفساتين الحمراء، لما فيها من خيال الغواية.

لكن مهلا، أين أنا الآن؟ ما زلت في «المول» التجاري، أتأمل فستانا أحمر بأكتافٍ مكشوفة، دخلت وطلبت المقاس المناسب لي. لم أجرّبه، إذ إحدى عاداتي السيئة أنني لا أجرّب ما أشتريه، أحفظ تفاصيل جسمي جيدا، وأعرف ما يناسبه. لكن يحدث كثيرا أن أكتشف أنني مخطئة، حين أعود إلى البيت وأقيس الملابس التي اشتريتها، فأعيد المشوار ذاته كي أستبدلها. المهم، الآن، أنني اشتريت الفستان، ودفعت ثمنه ببطاقة البنك، ثم انتقلت إلى قسم الأحذية واشتريت حذاءً مقاس 38 بكعبٍ يتناسب مع الفستان الأحمر، ثم تابعت التجوّل والتسوّق. اشتريت بعض أدوات الزينة، ذهبت إلى السوبر ماركت الكبير، اشتريت حاجيات للمطبخ، وطعاما لقطتي الصغيرة. وطبعا، كل مدفوعاتي عبر البطاقة البنكية. بعدما انتهيت، أعدت طلب التاكسي بطريقة ذهابي نفسها، ووصلت إلى البيت. نهضت عن كرسي الطاولة، وخلعت نظارتي وبدّلت ملابسي بثياب البيت وجلست بانتظار أن يصل إلي ما اشتريته.

نسيت أن أخبركم أنني قابلت أصدقاء لي في «المول» التجاري، لم أستطع أن أعانقهم أو أصافحهم، ذلك أن ما سبق كله يحدُث عبر شاشة الكومبيوتر، يحدث افتراضيا، في عالم «الميتافيرس» المأمول الذي يبشّرنا به تحالف الرأسمال الضخم في العالم. ويُخبرنا بما سيكون عليه شكل الحياة في المستقبل.

> ما يقال عن عالم «الميتافيرس» هو بمثابة رثاء لحالة العاطفة والدفء التي يشكلها الاجتماع البشري

يدافع بعضهم عن هذا الشكل الافتراضي المأمول لحياة البشر، بذريعة أن المستقبل للشباب وليس للعجائز، وأن مالكي تحالف شركات «ميتا» أدركوا أن عليهم مجاراة طموحات الجيل الشاب في العالم، غير أنني أظن أننا جميعا، بأجيالنا كافة، نعيش حياتنا وفق ما يحقق مزيدا من الأرباح لهذه الشركات، وأنها هي التي تتحكّم برغباتنا لا العكس، وأن اعتمادنا المهول على وسائل الافتراض والتكنولوجيا تم عبر حالة تعوّد يومي دؤوب، زاد في عزلة البشرية بقدر زيادة أرباح الشركات الرأسمالية العملاقة، والتي قضت تماما على أصحاب المشاريع الصغيرة، سواء الخدمية أو الترفيهية، ما سيجعل الفروق بين البشر مهولة، ويعيد إنتاج العبودية، ولكن بشكلها ما بعد الحداثي. ما يقال عن عالم «الميتافيرس» هو بمثابة رثاء لحالة العاطفة والدفء التي يشكلها الاجتماع البشري، لصالح عالم محايد وبارد وخالٍ من المشاعر ومن الخيال الفني ومن خيال الغواية لصالح العلم بكل برودته. ما فائدة فستان أحمر تشتريه امرأة وهي تجلس في بيتها وحيدة، إن غاب خيال الغواية عن الحياة؟

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**